

## سورة النحل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53)﴾

شرح الكلمات:

{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ} ظاهرة وباطنة

{فَمِنَ اللَّهِ} لا أحد يشركه فيها،

{ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ} من فقر ومرض وشدة

{فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} أي: تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع

الضرر والشدة إلا هو.

المعنى الإجمالي :

قوله: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} يخبرهم تعالى بالواقع الذي يتكبرون له فيخبرهم أنه ما بهم من نعمة جلت أو صغرت من صحة أو مال أو ولد فهي من الله تعالى خالقهم وواهبهم حياتهم، وليست من أحدٍ غيره، ودلل على ذلك شعورهم الفطري وهو أنهم إذا مسهم الضر من فقر أو مرض أو تغير حال كخوف غرق في البحر فإنهم يرفعون أصواتهم إلى أعلاها مستغيثين بالله سائلينه أن يكشف ضرهم أو ينجيهم من هلكتهم المتوقعة لهم فقال عز وجل: {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ} دون غيره {تَجْأَرُونَ} برفع أصواتكم بالدعاء والاستغاثة به سبحانه وتعالى.

وَإِلَيْهِ يَعُودُ الْفَضْلُ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالرِّزْقِ وَالْعَافِيَةِ وَالضَّرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَحِينَمَا يَمَسُّكُمُ الضُّرُّ وَالسَّقَمُ، وَيَحِلُّ بِكُمْ الْبَلَاءُ، تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ،

وَتَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ مُسْتَغِيثِينَ بِهِ، مُلْحِينَ فِي الرَّجَاءِ، لَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ، وَلَا تَلْجَأُونَ إِلَى سِوَاهُ.

لذا يُنبِّهنا الحق تبارك وتعالى: إذا أعطيتُ لكم نعمة فإياكم أن تغتروا بها. . إياكم أن تذهلكم النعمة عن المنعم؛ لأنكم سوف تحكمون على أنفسكم أنه لا مُنعمٍ غيري، بدليل أنني إذا سلَّبتُ النعمة منكم فلن تجدوا غيري تلجأون إليه فستقولون: يا ربِّ يا ربِّ.

وفرة الضر التي تمرُّ بالإنسان هي التي تلفته إلى الله، والحاجة هي التي تُلجئته إلى المصدر الحقيقي للإمداد، فإذا كانت النعمة قد تُذهله وتُسييه، فالضر يُذكِّره بربه الذي يملك وحده كشف الضر عنه.

ولذلك، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ يُنبِّهنا هذه الأحداث التي تصيبنا، فإياكم أن تستقبلوها بالخزع والفرع. . ولكن استقبلوها بالإيمان والرضا، واعلموا أن ربكم يغار عليكم، وهو بهذه الأحداث يلفتكم إليه قهراً عنكم؛ لكي تعودوا إليه وتلجأوا إليه. . لكي تقولوا يا رب.

فالمصاب الحقيقي ليس مَنْ نزل به ضرٌّ أو أصابه بلاء. . لا. . بل المصاب الحقيقي مَنْ حُرِمَ الثواب.

إذن: نقول لمن عنده نعمة: احذر أن تُنسيك النعمة وتُذهلك عن المنعم، أما صاحب البلاء والضر، فسوف يردُّك هذا البلاء، ويُذكِّرك هذا الضر بالله تعالى، ولن تجدَ غيره تلجأ إليه.

ليعلم المسلم أن البلاء قد يكون:

- 1- لتكفير الخطايا، ومحو السيئات،
- 2- وتارة يكون لرفع الدرجات، وزيادة الحسنات.
- 3- وتارة يقع البلاء لتمحيص المؤمنين، وتمييزهم عن المنافقين.
- 4- وتارة يعاقب المؤمن بالبلاء على بعض الذنوب،

التوسل بغير الله يناقض التوحيد للأسباب الآتية:

أولاً: يرجو المتوسِّل بغير الله خيراً ممَّن لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ثانياً: فيه صرفُ المتوسِّل بغير الله رجاءه وتوكُّله واستعانتَه بغير الله، وربما صرف - كذلك - الخوفَ والإنابةَ وسائرَ الأعمالِ التعبدية؛ سواءً كانت قلبية أم قولية أم فعلية، وهذا هو الشرك الواضح

ثالثاً: فيه تشبيه المتوسِّل بغير الله الخالقِ بمخلوقٍ يحتاج إلى مُعينٍ ووزير، وقد نفى الله عن نفسه ذلك.

أسباب رفع البلايا والمصائب:

- 1- الرجوع إلى الله، فإن الله جل وعلا يتلي العبد بالمصائب والحسنات ليرجع إليه وينيب إليه.
- 2- التضرع إلى الله والإنابة إليه، فإن العبد في النعم قد يقص قلبه ويعرض عن ربه، وبالبلاء والامتحان يعود إلى رشده ويتوب إلى رشده ويرجع إلى ربه.
- 3- التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله مع الأخذ بالأسباب النافعة والاعتقاد الجازم أن الله على كل شيء قدير.
- 4- تقوى الله في السر والعلانية، فمن اتقى الله في سره وعلانيته نفعه ذلك.
- 5- التوبة إلى الله جل وعلا، فإن العبد مهما أمكن حاله فلا بد من زلات في الأقوال والأفعال، وكلنا خطاء وخير الخطاءين التوابون.

واجب المؤمن نحو الشدائد الخمس:

- 1- اللجوء إلى الله تعالى.
- 2- الصبر .
- 3- الحذر.
- 4- العفو.
- 5- تربية النفس .

فوائد الشدائد :

الشدائد التي تصيب المسلم في حياته بشق الصور، لابد لها من فوائد فبالرغم من أنها مكروهة للنفس، إلا أن الله يكفر بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات، كما أن الكرب يدفع بالمكروب إلى التوبة، فيلجأ إلى الله وينكسر بين يديه، وهذا الانكسار أحب إلى الله من كثير من العبادات، فما أجل أن ينكسر المخلوق لله، ويشعر بذلة أمامه، ويشعر بحاجته إليه وافتقاره إلى خالقه، فينقطع إلى الخالق ويترك المخلوق، وهنا يتحقق التوحيد.

# وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم ( 350 )



قوانين من تفسير سورة البقرة الآية 53

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

اعدها : عزمي إبراهيم عزيز

8- إن من الناس من لا يعرف الله ، لا في الشدة ولا في الرخاء ، فهو منكوس الفطرة ، معكوس الخلقة ، مقلوب القلب .

9- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة.

10- المؤمن الذي تصيبه السراء والنعمة فيشكر ربه يحصل الخير، وذلك لأن الله يحب الشاكرين، ويزيدهم من نعمه.

11- أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر، ولهذا قال: {وَأِنْ يَسْأَلْكُمُ اللَّهُ بَئْزَرًا فَلَا تَكْشِفْ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْذَكُمْ بَئْزَرًا فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} [يونس: 107]، لأنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع

12- نعى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو أحدا من سائر المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضرر، وأنه لا يجوز إلا ممن يملكه وهو الله وحده.

13- لولا الضر ما علمنا العافية فالضر يلفت الإنسان إلى نعم الحق سبحانه وتعالى في هذه الدنيا وإذا ما رضي الإنسان وصبر فإن الله يرفع عنه الضر بل ويثيبه عليه.

14- إن الإنسان في الدنيا مهما ارتقى في الابتكار والإختراع فهو لن يصل إلى كل الخير الذي يوجد في الآخرة ذلك أن خير الدنيا يحتاج إلى تحضير وجهد من البشر أما الخير في الآخرة فهو على قدر المعطي الأعظم وهو الله سبحانه وتعالى.

15- الحق هو الكاشف الحقيقي للضر وهو القادر على أن يعطيك الخير . روى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ ياذن الله عز وجل".

16- فمهما زاد البلاء و أثقلنا , فعلينا التأسي بأصحاب القدوة من الأنبياء و الصالحين , فالتأسي بهم يهون علي العبد أموراً كثيراً , و يرزقنا الرضا و التسليم و القناعة بأن هذا هو ثمن الطريق إلي الجنة.

والله اعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## الفوائد :

1- كل نعمة بالعبد صغرت أو كبرت فهي من الله سبحانه وتعالى.

2- تهديد المشركين إن أصروا على شركهم وعدم توبتهم.

3- (الضر) هو الأسقام والأوجاع والقحط والزلازل والحاجة والفقر، وغير ذلك من الأمور التي يعلم نظيرها القاصي والداني.

4- إن الله على خلقه نعماً لا تحصى وخيرات لا تستقصى، تفضل الله بهذه الخيرات والنعم على خلقه، ووعد عباده الزيادة - إن هم شكروا - وضمن لهم بقاءها واستمرارها - إن هم أطاعوه -

فقال - تعالى -: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7]، وهبات الله وعطاياه وهبات الله وعطاياه ظاهرة وباطنة، جليلة وخفية، معلومة ومجهولة.

5- أجل النعم وأجل النعم - يا عباد الله - دين الإسلام؛ فلولا الدين الإسلامي لصار الناس كالعجماءات، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً، ولأكل القوي الضعيف، ولصَبَّ الله العذاب على الناس من فوقهم، وأرسل عليهم العقوبة من تحت أرجلهم، ولولا الإسلام لما اطمأنت الجنوب في المضاجع، ولما جفت الأعين من المدامع، ولانحطَّ النوع الإنساني في منزلة البهائم التي تتسافد في الطرقات، ويقع ذلك في بلاد لا يتمسك أهلها بالإسلام.

6- إن شكر النعمة التي ينعم بها الله سبحانه وتعالى على الأفراد أو على الجماعات والمجتمعات سبب لاستقرارها وثبوتها، أما عدم الشكر فإنه يؤدي غالباً إلى العقوبات الخاصة أو العامة ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه ما عاقب به كل شخص على كفره، فيجب علينا أن نشكر الله على نعمه سواء كانت دنيوية أو دنيوية

7- (الله هو المنعم)، هذه حقيقة يجب أن تصح لدينا من البدايات؛ فكل نعمة تعود إليه، وكل جميل ينسب إليه، وكل مكروه فهو الذي صرفه، ومن يفعل الخير يجده أمامه يوم العرض الأكبر، ومن أحسن هنا، أحسن إليه هناك.